

دراسة العصبية المذهبية والطائفية في شعر بشارة الخوري

الأستاذ المشارك الدكتور أمير مقدم متقي (الكاتب المسؤول)

جامعة فردوسي مشهد – كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها - إيران

a.moghaddam@ferdowsi.um.ac.ir

الأستاذ المساعد الدكتور آشورقليج باسة

جامعة زابل - إيران

صفورا نظري

ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الشهيد مدني بأذربيجان

مسعود باوان بوري

طالب الدكتوراة في قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الشهيد مدني

بأذربيجان - إيران

الملخص

كانت العصبية الدينية والطائفية سما مهلكا أسفمت لبنان سقما شديدا في فترة من الزمن وقادتها إلى حد الانهيار، كون وصفها قضية صارت بلبله وقلق رئيسا لأكثر الشعراء والكتاب في ذلك الزمن وأنهم استطاعوا بأن يساعدوا علي خلق الوحدة والمودة عبر أشعارهم وكتاباتهم، ومن جملة هؤلاء الشعراء فيمكننا الإشارة إلى بشارة الخوري بصفة شاعر مسيحي منذ شبابه حتي زمن شيخوخته والذي لا يزال كان قد عاهد علي نفسه بأن يكون ملتزما بفكرة وطنية عارية من أي عصبية وطائفية ما. قد تناول هذا المقال الجاري تبیین الأفكار والآراء لبشارة الخوري علي أساس المنهج الوصفي – التحليلي والذي يخص مواضيع مثل مذمة العصبية المذهبية، القومية، التفرقة، الإشادة بالوحدة والتضامن، المودة والمحبة ومن ثم يقوم بنقدها ودراستها من الأبعاد والزوايا المختلفة. وقد أظهرت الدراسات التي قد تمت بهذا الصدد بأن بشارة الخوري كان يحترم لجميع الأديان السماوية بشكل عام وهو كان يطلب التسامح الديني. هو يحاول في أعماله أن يتدارس تنوير جمهور الناس بالنسبة للبلايا والمصائب التي تخلف العصبية الدينية معها حتي يقدم بهذه الطريقة علي خلق مودة ومحبة بين اللبنانيين مهما كانت عقائدهم وأديانهم، كما أنه كان ينتقد من الذين كانوا يشيعون الخلافات العقائدية بين الناس بصراحة ما وكان يقول لهم بأنكم تقومون بالقضاء علي روح التضامن والتكاتف والمودة بين الناس عبر تفكراتكم وأفكاركم الخاطئة موزعين بذور النفاق والعداوة فيما بينهم.

الكلمات الدلالية: بشارة الخوري، المذمة، العصبية، الطائفية، التمجيد، الوحدة.

١. المقدمة

العصبية تعني عدم التعبير، الجمود وعدم التحمل للثقافة والقيم الأخرى التي تتجلى ظاهرة في ساحة البصيرة والعلوم (التحجر) وكذلك في دائرة النزعة والتصرف (الجمود) وهي تشمل

العقل والقلب والأدوات الباحثة عن المعرفة والمصادر المولدة للمعرفة أيضا (مطهري، بي‌تا، ج١٩: ١١٠).

كان بلاد الشام تركيا عجبيا عن تعدد الأديان وحينما اطلعت الحروب الصليبية مسيحيي لبنان علي الخطط والدسائس والمؤامرات للغربيين فبدأت تتجلى أفكارهم الانفصالية بين فترة وأخري في البلدان العربية، وأن وجود هذه العوامل قد مهدت الطريق لدولة فرنسا لأجل التدخل في هذه المنطقة وبالتالي تم البدء للهجمات الثقافية للغرب علي لبنان. فأعلنت فرنسا دعمها وحمائتها من المسيحيين بدءا من سنة (١٨٤٩ للميلاد) وقامت بحماية وقائع لاحقة أضرمت قتل التثبيت لجذور الطائفية في هذا البلد العربي. ومع مضي من الزمن فقامت أية دولة أوروبية ما بدعم طائفة من طوائف مسيحية لبنانية وهذه الحماية من جهة الأوروبيين كانت قد جعلت بعض الطوائف المسيحية في لبنان بأن تثير فكرة الاستقلالية والبناء لوطن مسيحي في لبنان وإثارة العصبية الدينية فيها بحيث كان يعتبر أي إنسان ما شخصا آخر عديم الدين والمذهب وكان يلزم علي نفسه القيام بقتله واغتصابه في الأموال والأرواح والأعراض (المعوش، ١٩٤٨: ٥٤).

لا زال قد تعجن الأدب وفي مقدمته الشعر مع حياة الناس وهو قد تطرق إلي التعبير عن آمالهم وآلامهم ويعتبر بشارة الخوري من أحد الشعراء اللبنانيين قد أبعد نفسه عن التفرقة والعصبية المذهبية والدينية والطائفية رغم نصرانيته بشكل حاد وقد تناول في شعره مذمة أولئك الذين يتبعون هذه الفكرة. يسعى المقال الجاري أن يتناول دراسة بشارة الخوري عبر المنهج الوصفي – التحليلي وأن يستنبط مواضع تبين أفكارها في نفي وطرده العصبية الدينية والطائفية ومن ثم أن يقوم بتبيينها.

١-١. أسبقية البحث

قد ترك بشارة الخوري لما بعده أعمالا مثل «ديوان الهوي والشباب» و «شعر الأخطل الصغير» بحيث تم نشر الديوان الأول في سنة (١٩٥٣ للميلاد) والديوان الثاني في سنة (١٩٦١ للميلاد) بإشراف الشاعرين الاثنتين هما «سعيد عقل» و «أمين نخلة». كما أن الديوان «الوتر الجريح» و «كبرا واصفيا» يعتبران من جملة أعماله النظمية. ومن جملة أعماله النثرية فيمكن الإشارة إلي «من بقايا الذاكرة» و «أحداث واعلام» والتي تشمل ذكريات الشاعر بعينه وكذلك كتاب «بين الادب والسياسة» الذي يعتبر نبذة مقالات ما من بين المقالات المنتشرة لجريدة «برق» (العيني، ١٤١١: ١٨٠).

إن أشعار الشاعر بالنظر إلي أنه يعد أمير الشعراء العرب، قد تمت دراستها وفيما يتعلق بأشعارها فقد حررت كتب وأطروحات بهذا الصدد، منها الكتاب "الأخطل الصغير سيرته وأدبه" التي قد كتبه «سهام ابوجده» في خمس مجلدات وأن أطروحة الدراسة والشرح للدلالات السياسية – الاجتماعية في شعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) التي قد كتبها سيد محمود هاشمي فكلها تعد من جملة أعمال قد تم تأليفها عنه وحوله. ولكنه حسب ما اطلع عليه المؤلفون وقد بحثوا فيه فإنه لم تتم كتابة أي مقال يتناول دراسة العصبية المذهبية والطائفية في أشعار بشارة الخوري ولذلك فإن هذا البحث بإمكانه أن يعد بحثا جديدا في حد ذاته.

يهدف البحث الحاضر إلي دراسة العصبية المذهبية والطائفية في أشعار بشارة الخوري والذي قد تمت كتابتها بهدف الإجابة علي الأسئلة التي تأتي في التالي:
هل أثرت أشعار بشارة الخوري علي تنوير أفكار الناس ومعتقداتهم؟

إلى أي مدى قد استطاعت أشعار بشارة الخوري أن تشيع فكرة المودة للأديان بين جمهور الناس؟.

٢-١. نظرة قصيرة إلى حياة بشارة الخوري

هو من مواليد مدينة بيروت وقد أخذت له بعين الاعتبار ثلاثة تواريخ (١٨٨٠م)، (١٨٨٥م)، (١٨٩٠م) بصفة سنة ولادته. يكتب «أبوشبكه» حول بشارة الخوري في سنة (٢٠٠٠ للميلاد): هو يكون علي أعتاب ٤٥ سنة من عمره ومازالت هوايته إنشاد الأشعار وهو ينشد بالنسبة لأية واقعة مهمة تحدث» (أبوشبكه، بي-تا: ٢٤). في بداية الأمر أرسله أبوه إلى المدرسة وتعرف في هناك علي «وديع عقل» و«جبران» (لبكي، ١٩٥٤: ١٦). كانت حرفة الصحافة أملا مازال كان يفكر فيها، لذلك فقام بتشغيل جريدة «برق» وهو يقول بشأن صحيفته: "أسست جريدة «برق» كي أتناول جميع المواضيع فيها منها مواضيع سياسية واجتماعية وأن أقوم بالبحث عنها ونقدتها حتي أحيي الروح العربية في جمهور الناس لإسهامهم في النهضة الوطنية التي قد بدأت تطلع» (قميحة، ١٩٨٢: ١٤٨). أخبر في الصيف لسن (١٩١٦م) بأن الأعراب ينوون تأسيس الأمبراطورية العربية وهذا الأمر قد تسبب بأن تستيقظ مشاعر وطنيته في ذاته. ولكنه لما كان يخاف بأن يعبر عن أفكاره بحرية كاملة فاختار لنفسه لقب الأخطل الصغير (مطر، ١٩٩١: ٢٣). قد أقيمت احتفالات عديدة احتراما وتكريما له وأن شعراء المهجر في احتفال قد أقاموه له في سنة (١٩٦١ للميلاد) فلقبوه بلقب أمير الشعراء ولذلك فإنه صار أمير الشعراء للأدب العربي بعد «أحمد شوقي» ومن جملة ألقابه فهي: شاعر «الهوي والشباب» شاعر «الموافق والمناسبات» شاعر «الوطن» شاعر «الجراح والبواح» شاعر «المرأة والشفافة والقبيلات» و.... (أبووجه، ١٩٩٨: ٢٦). توفي بشارة الخوري في يوم الأربعاء الموافق ل (٣١) تموز (١٩٦٨ للميلاد) وتم دفنه في يوم الجمعة الموافق ل (٢) لأغسطس (١٩٦٨ للميلاد) (الجبوري، ١٩٩١: ٤٥).

ينبغي أن نعتبر لبنان بلد الأحزاب التي يعيش فيها طوائف مختلفة تكون لكل واحدة منها دين ومذهب خاص وأنه يكون لأي بلد ما من بين البلدان العربية والغربية فيها أحزاب وطوائف تزودها بالمال والسلاح مما يبعث علي أن تتصارع هذه الأحزاب والطوائف معا لكي تطبق خطط متعلقة بحكومتها المتبوعة (بيشوايي، بي-تا: ٥٢) وهذا الأمر بدوره قد بعث علي حدوث حروب طائفية مذهبية في لبنان والتي نبحث عنها في أشعار بشارة الخوري في مواصلة حديثنا بهذا الصدد.

٢- دراسة العصبيات المذهبية والطائفية في أشعار بشارة الخوري

١-٢- مذمة العصبيات

كان الشاعر معتقدا بأنه تكون العصبيات الدينية والطائفية آفة أسوأ من الفقر والفاقة في لبنان. ولأجل عيشه في بلد لبنان فكانت له نزعات واتجاهات نحو الاعتدال و مازال كان ينشد بين اللبنانيين أغنية التفاهم والمودة. وبما أنه كان يشارك في المحافل السياسية فكان يسعى جاهدا أن يخلق وحدة بين المذاهب والأديان وكان يدعوهم إلي الوفاق والوئام. بناء علي هذه العقيدة بأن العصبية هو سم مهلك يقضي علي كيان الوطن وذاته ويسوقه نحو الفناء والهلاك.

«كان يحلم بأن يقضي الله علي هؤلاء الناس وأن يجعل بدلهم أمة واحدة يكون لها دين وفلسفة واحدة لكي توصل الشرق إلي آماله وأمنيته وأن تعيد له مجده وعظمته وجاهه» (أبووجه، ١٩٩٨، ج ١: ٨٧).

دراسة العصبية المذهبية والطائفية في شعر بشارة الخوري..... (٧٠٤)

وإثر واقعة وقعت بين المسلمين والمسيحيين في سنة (١٩١١ للميلاد) فهو يعبر عن غضبه وسخطه بكل صراحة في شعر «ما في ما حرم سفك الدماء» وهو يقول بهذا الشأن: نحن كلنا من نفس وأخوة واحدة توجب علي أنفسنا أن نجاهد بجانب بعضنا البعض لبناء الوطن علي أساس التكريم والاحترام ورغم الخلافات القائمة بين القوميات والأديان والمذاهب فأن نراعي حقوق بعضنا بعضا وفقا للعمل وأن نكرمها وفقا للتعليمات الإلهية لديننا وهو يعتبر سفك الدماء أمرا مكروها لا يقبلها أي دين ما أصلا:

ما حرم سفك الدماء ما حرام قتل هذا الإنسان يا إنسان

كلنا إخوة وما الدين إلا واحد للجميع من حيث كانوا

إتقوا الله وأحفظوا دم هذا الخلق رفقا فكلنا إخوان

(الخوري، ١٩٩٨، ج: ٥، ٣٣)

كانت علل انحطاط لبنان وسقوطها الصراع الدائم بين المسلمين والمسيحيين من جهة وأنهم فيما بينهم لايزالون كانوا يتراشقون بعضهم بعضا بتهمة الإلحاد في الدين ومن جهة أخرى الحماية والمساعدات الدائمة للأجانب من الحروب الطائفية في لبنان حفظا لمصالحهم فكانت من جملة عوامل تثير فتيل هذه الحوادث الطائفية ومن ثم تنشر بذور العدواة بينهم لأنه وبعد مضي من الزمن فقامت الحكومات الأوروبية بالحماية من المسيحيين وهذه السياسة كانت تثير وقائع وحوادث طائفية كان يعتبر أي أنسان ما الآخرين بعدم التدبير.

وكان انعكاس هذه الحوادث في شمال لبنان بشكل وافر والذي كان يمتلك تنوعات مذهبية وافرة. الشاعر في شعر «أجل سئنا الهوانا» فيصور هذا الموضوع بصورة رائعة وقد شبه نفسه في هموم مصائب وبلايا وطنه بحمامة مطوقة تتحمل حلقة من غيوم مصائب الوطن علي عنقها دوما وهو يذم أولئك الذين يحرضون الناس علي إثارة النعرات الدينية والطائفية قائلا: إنكم لاتخلقون للناس شيئا سوي الهموم والتضاييق والآنزعاج:

نحن صنوان يا حمائم في البؤس كلانا مطوقان كلانا

كيف حال شمال من أرض لبنان أمأزال يقدف النيرانا؟

ويريق الفتى دماء أخيه ويحبه كان قلبه صوآنا

إن من يزرع الدماء بأرض أيها الناس يحصد الأحرانا

(الخوري، ١٩٢٩، ٢٢)

يعتقد الشاعر في هنا بأن المودة بين أبناء الوطن، أمر جميل وطريقة لخلق الوفاق والوئام فيما بينهم وإن تمت إدارة هذه المبادلة للمحبة الدينية بطريقة صحيحة فتكون للبلاد مصالح كثيرة. يمكن القول بأن المراسم والأماكن المذهبية يجب عليها أن تتحول إلي وسيلة لخلق المودة بين الأديان وعة لإنشاء الهدوء ومبادلة الأفكار والعقائد حتي تعقبها الوحدة، السلم والهدوء.

هو يتناول هذا الموضوع في قصيدة «إلي أخي في عيده عاطفة تتجدد» حتي يدعو الناس إلي المشاركة في احتفال المسلمين وأن يعتبروه عيداً وطنياً.
هو يقول للناس: إن هذه الأنفس متعطشة إلي الفرح والمحبة، وأن المصائب والأفراح للوطن يكون أسهما لجمعنا؛ فهلموا أن نقسم أفراح أبناء جلدتنا كرامة وعبير الإغضاء عن جميع الأخطاء والزلات وأن نحول العداوات إلي السلم والبكاءات إلي الضحكات، لأنه قد ضاق قلب الوطن من هذه الأفكار والتفكرات الحاقدة وقتل الإخوان:
يا له من موقف/ عيد غداً عيد أخي. فماذا أعددت للعيد؟/ آية زهرة جميلة/ آية نغمة طيبة/ ظمئت هذه النفوس إلي الحب/ ظمئت إلي مجالس الأنس/ الهواء والماء لي وله/ الشقاء والهناء لي وله/ والتراب الذي نستحيل إليه غداً ستضربه العاصفة فيمتزج فيكون منه بنونا/ العاطفة في الصدر الكريم، نستطيع أن نُحوّل الشقاق ونأما، والخصام سلاماً (أبوجه، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٧٢).

٢-٢. الإشادة بالمودة والمحبة

مايزال يدعو بشارة الخوري علي ضرورة الوحدة بين المسلمين والمسيحيين وتحويل الخلافات المذهبية إلي المحبة والوئام وكان السبب لهذا الإلحاح من قبله وجود ماضي لبنان. أيام من الدهر التي كان يعيش الناس فيها في الوحدة والمودة معا ولم يكن هناك أية خلافات ما بينهم وأن جميع قلوب هذه الأرض كانت تبكي إثر سرد قصة واحدة وكانوا يضحكون إثر فرحة واحدة وأن دموع المصائب والبلايا كانت تذرف علي خد واحد. هو كان يعرف جيدا بأنه كانت نفس هذه السياسية تدعو اللبنانيين إلي الحرب وعدم الوحدة والتفرقة بينما أن صواحب جاهلة لهذه الأفكار كانوا لا يعرفون بأن هذا الأمر أية مصيبة عظمي تصحب مع نفسها، كان يقول الشاعر لأصحاب التفرقة:

أيها السائل عن أدياننا ألعيسي أنت أم للمصطفي
وطنني ديني فمن يسألني قلت: إنني عربي وكفي

(برهومي، ١٩٩٣: ٩٠)

كان الشاعر مخلصا في عريته وكان يعتقد بأنه يجب علي هذه المسألة بأن توحدنا وكان يدعو أناسه إلي الوحدة الوطنية وعدم الانتباه إلي الخلافات الدينية والمذهبية والحرب مع مدعوها دوما؛ هو كان يذهب إلي أن الدين ينبغي عليه أن يكون عاملا للمودة والألفة بين المواطنين لا أن يكون عروة يتمسك بها للحرب وسفك الدماء وكان يقول ردا علي مثيري التفرقة:

قالوا طوائفه فقلت فدي له قالوا مسيحي فقلت ومسلم
سيان إن قباد البلاد مقلنس للمجد أو قباد البلاد معم
وطن الجمعية علي حدود رياضه تختال الفاطمة وتلعب المريم

(الخوري، ١٩٩٨، ج ٥: ٢٨٣)

كان يؤمن بشارة الخوري بأن الكاهن والشيخ لو أنكرا بعضهما البعض- نفس العمل الذي قمنا به حتي إليوم- فهذا الأمر يبعث علي خلق الحرب الدينية وسوف تبقى هذه المصائب. هو في قصيدة «وسائم الرئاسة الجمهورية» يدعو مواطنيه إلي التضامن رغم خلافاتهم الدينية بحيث

يتعاقب صليب الكنيسة هلال المسجد وتتعاقد فاطمة مريم وأن يكون المسلم والمسيحي بجانب بعضهما مع البعض وأن يتمتع جميع أبناء الوطن بإمكانيات الوطن بجانب بعضهم مع البعض. يعتبر بشارة الخوري راية الوطن مظهراً للوحدة والاتحاد والوئام ويخاطبها هكذا:

لا أبالي اللون الذي تلبسين/ ولا الخيط الذي منه تنسجين/ ولا المكان الذي عليه ترفعين/ علي أن لا يكون كنيسة ولا كنيسة/ علي أن لا يكون مسجداً ولا مقاماً/ علي أن لا تكوني إلا لنا مجتمعين متحدين متضامنين (أبوجده، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٦٩)

يعرف الأخطل الصغير جيداً بأن راية أي بلد ما قد تمتعت بأي قداسة ومعني عالية، لذلك يخاطب في قصيدة «من لهذه راية» راية لبنان حتي يبين أفكاره بصفة إنسان محب لبلده. كان معتقداً بأن راية لبنان تكون قيمة في نظرة اللبنانيين وهي تعتبر مظهراً للبلاد إلي زمن يشمل جميع اللبنانيين سواء كانوا من المسلمين أو من المسيحيين وأن يعيش كلهم في السلم والوحدة تحت ظل هذه الارية وهو يصور عزمه وإرادته إلي الإسلام في قصيدة «إلي أخي في عيده عاطفة تتجدد» هكذا:

ليت لي أن أصوغ الأزهار ثغور/ وأعكس عليها الكواكب نورا/ وأرسم العواطف في القلوب سطوراً/ وقليل علي ذلك في عيده/ في عيد أخي/ أخشع للجامع من أجله/ وأحب كل «أحمد من أجله، لأن أحمد أسمه (أبوجده، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٧٢)

إن بشارة الخوري عبر وقوفه علي دين الإسلام والأهمية لعيد المبعث النبوي الشريف لدي المسلمين فلأجل خلق المحبة الأكثر بين أبناء جلدته فجعل عيد البعثة النبوية الشريفة عذراً حتي يبين فرحته عبر إنشاد هذا الشعر لكي يكون إنسان ينفخ روح الوحدة والوفاق والوئام بين المواطنين بهذه الطريقة. فالشاعر يمدح النبي الأكرم في ذكرى ميلاده (7) هكذا:

غداً ترتجف أصنام الكعبة فتتهوي متحطمة علي الحضيض/ غداً تطمئن البنات في حضون الأمهات، مسبحات للرسول شاكرات/ غداً لا أزلام ولا مدام ولا قمار ولا خمار/ غداً تذكار نهضة العرب كأمة، ونهضتها كدولة، ونهضتها كمشعل للحضارة (أبوجده، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٨٣)

كم يكون جميلاً عمل الشاعر في هنا عندما يمدح النبي الأكرم (7) في شعر «إن غداً تذكار مولد الرسول»: إن النبي الأكرم (7) هو الذي حطم الأصنام التي كان علامة للجهل والجهالة ووهب إلي المرأة الحياة والتكريم المجدد وقضي علي الخمر والمقامرة اللذين كانا يضيعان الحياة وقام بتوحيد شتيت الأمم العربية جاعلاً إياهم صواحب المشاعل للحضارة.

يعتزم بشارة الخوري كون وصفه أحد الزعماء الكبار للمسيحيين في لبنان بأن يعبر عن فرحتهم عبر نشر أفكاره وأن يخلق المودة بين الناس ولذلك كان يقول: «نحن نبارك هذا العيد الزاهر إلي إخواننا المسلمين أملاً بأن جميع المواطنين يحتفلون بعيد واحد وهو العيد الجديد للوطن وعلي أمل بأن تأخذ المباحث الدينية مصلحة البلد بعين الاعتبار وأن تصير مذابة فيها» (أبوجده، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٦٧).

٣-٢. حث الشباب علي التنحي عن التفرقة

كان يقول بشارة الخوري إلي الشباب: يرضي الأعداء من التفرقة الموجودة في هذا البلد ولذلك فاتحدوا معاً وجاهدوا لتحقيق الوحدة وتطلعات لبلدكم لبنان. وعبر الاجتناب من الخلافات السياسية فإن نمارس توحيد الجهود للنصرة أمام مثيري التفرقة؛ لأن التعاليم والمعارف الدينية تعتبر إليوم عاملة للدوافع السياسية والسلطوية وأنها قد أصابت لبنان بالتفرقة. كان بشارة الخوري معتقداً بأنه ليس هناك حل لهذه الإشكاليات إلا وحدة المسلمين والمسيحيين معاً

دراسة العصبيات المذهبية والطائفية في شعر بشارة الخوري..... (٧٠٧)

وضرورة التفسير لهذه الدينين للناس بطريقة صحيحة وبالابتعاد عن الجمود والتحجر والعصبية. كان يخاطب الشباب قائلا:

أنتم القوة التي نترجي ذات يوم أن تنعش الأمالا
أنتم الكف والحسام فشلوا كل عضو ترون فيه اختلالا
وانبذوا الحقد والتنافر والأغراض والعنفوان والاختيالا
وأسحقوا مفرق البغاة ودوسوا نصراء التعصب الأنذالا
تدعي كل عصابة منهم الجنة والفصل والهدى والكمالا

(الخوري، ١٩٩٨، ج ٥: ١٥)

كان الشاعر يذهب إلى أن تنمية وتطوير لبنان وتقدمها رهين علي الوحدة والتعاون بين المسلمين والمسيحيين فحسب حتي بإمكانها أن تتخلص من الزوبعة التي قد أحطيت بها. هو يخاطب الشباب في قصيدة «صفحة مطوية» قائلا هكذا: إنكم وجود الوطن وأمله، ضعوا كافة الآمال الطائشة، الأحقاد والإكراه جانباً واضربوا علي رؤوس العاصيين والمتعصبين الذين قد لعبوا مع مستقبل الوطن بالأفكار الواهية والعيثة وإنما يكون هؤلاء مجموعة جاهلة ومتحجرة ينهمون الآخرين ولكن يعتبرون أنفسهم علي الحق.

هو يقول في قصيدة «شرف الفتح» نصحا للشباب: لو أردنا أن نكون أمة متقدمة ومستقلة كبقية الأمم، لكي نحقق حلمنا يرتاد في بال كبارنا فيما يخص تقدم البلاد وأن نصنع عالماً جديداً، فعلينا أن نتحد ونتقوي معاً. عندما صرنا أقوىاء فنكون الأعزاء، علينا بأن نضع جانباً مقولة مبنية تقول دوماً: أنا مسلم وأنت مسيحي وأن نصدق بأن نشأتنا قد تشكلت من تراب واحد وأن كلا الدينين ليسا سوي الداعين إلي الله تعالي وأن نعلم بأن منشأ هذه التفكرات المولدة للتفرقة التي لا تزرع في ذوات مواطنينا سوي الحقد والبغضة هو الجهل وأن نعلم بأن اللغة العربية هي لغة الأمم المختلفة وأن نعتبر عريبتنا عاملة لوحدتنا:

ويك قل لي هل المأذن والأجراس إلا الله عز وجل؟
بعض هذا التراب آباؤنا الغر ر قدفنا بهم علي الأرض نسلنا
أي نبى لأحمد، أي نبى ليسوع، أثنيت عقلك جهلا
فخر أم اللغات أن تحضن الرايات مهما اختلفن لوناً وشكلاً

(الخوري، ١٩٩٨، ج ٥: ٤٩٧)

يتناول الشاعر في قصيدة «علي عيد أخي» إعادة تصويره للأحداث والمصائب التي قد وردت علي مواطنيه بواسطة العصبية المذهبية وأنه يتذكر بنوع من الكناية الحساسة وهي أنه كيف يكون بأن الموت يقبرنا جميعاً رغم اختلافنا في أي لون وعنصر ما وهو يصنع من عظامنا وهي رميم تراباً واحداً خلق جميعنا منه ولكننا نكون في صراع ومعركة دائمة في هذه الحياة القصيرة:

كانت لنا وقفة علي الرمل منذ أيام/ قال هذه هي الحفرة التي تضم إخواننا ممن قتل/ أزل هذا التراب عنهم،/ وأنظر ذلك امتزاج هذه العظام البوالي/ وميّز- إن أستطعت أن -تميز «أحمد» من «سعيد»/ ويحنا، كيف وحدتنا المصائب ومزجتنا المنايا؟/ فعلام تفرقتنا الحياة علي قصرها وغرورها؟ (الخوري، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٧٢)

٤-٢. تمجيد والإشادة بالكبار

يدعو الشاعر الكبار إلي التنحي عن الخلافات بعضهم مع البعض إشاعة للسلم عبر تمجيدهم والإشادة بهم للائتنام بخلق الوحدة بين الطوائف اللبنانية مما بيعث علي توحيد الوطن تجاه المخاطر وهو يعتقد بأن الكبار سوف يتمكنون عبر الاتكاء علي القيم الوطنية والإدارة السياسية القوية من أن يحولوا هذه الاضطرابات إلي الوحدة والوفاق والانسجام وأن يمضوا في تقدم لبنان واستقرارها .

هو يقول في رثاء «إلياس بطرس حويك الزعيم الكبير للمسيحيين» :
لله درُّ مكفــــــــــــــــنٍ بجلالــــــــــــــــه لبس الضُّحــــــــي وتوسَّد «الميلادا»

جبريل عند رتاجه متواضع ويسوع حول سريره يتهادي

نظم الجموع علي اختلاف ميولها فتألّفت في حبه أحادا

(الخوري، ١٤٢٩: ١٣٣)

يسعي بشارة الخوري في مرثية «من للبلاد» ل «إلياس بطرس حويك» كون وصفه سياسيا أدت محاولاته إلي استقلال لبنان جاهدا في خلق المودة بين الإسلام والمسيحية مع الإتيان بالأسماء المقدسة للمسلمين وهو يعبر عنه بأن شعبية «إلياس بطرس حويك» كانت عظيمة بين جمهور الناس بصورة كان يحبونه رغم خلافاتهم وحتى صار موته سببا للمودة فيما بينهم وأخيرا إنه لملم طوائف مختلفة بعضها بجانب البعض.

٥-٢. مذمة التفرقة

يعتبر الوفاق الاجتماعي من أهم المبادئ والأصول التي يحتاجه أي بلد ما لمواصلة حياته، وبما أن كون لبنان بلدا ذا تعدد المذاهب والطوائف فلا تزال هي قد واجهت صراعات ومنازعات سياسية طول التاريخ، قضية قد ألحقتها أضرارا وافرة ومما لا شك فيه أن وجود حالة كهذه في المجتمع فيتسبب في تخلفه وهذه القضية بدورها تسدل ستائر الجهل علي عقول وأفكار الناس والتي تمنعهم عن الإدراك والفهم الصحيح وبالتالي تقضي علي مصالح البلاد. وأن شاعرنا بشارة الخوري الذي كان يري واضحا بأن تفرقة ماذا صنعت بلبنان وقد أوغلتها في أي تقهقر وتخلف في الاقتصاد والثقافة و... فكان يذم الناس بكل صراحة ما وهو كان يقول :

لبنان ما لك إن غمرتك تغضب أيجّد غيرك في الحياة وتلعب

إنيك في البلاء فلم أجد عزمًا يقل ولا إباء يغضب

أما الشعوب فقد تألف شملها فمتي يولّف شعبك المتشعب

(الخوري، ١٤٢٩: ٢٩٦)

إن الشاعر حينما كان يري بأن الناس في العالم يعيشون في جو وبيئة من الوحدة والمودة بينما أن جمهور الناس لوطنه تحيطهم العصبية والتفرقة فكان يشعر بالعذاب وعندما كان يقضي سم العصبية علي وحدتهم وينشر بينهم الفساد والتكبر ويشيع الصراع والجهل في أرجاء البلاد ففي شعر «غصة السراب» كان يتساءل مؤسفا هكذا كيف يكون بأن السائرين قد كفوا عن العصبية الدينية، الطائفية والحق والبعضاء بالنسبة لبعضهم بعضا وهم يعكفون في المحاولة لبناء أوطانهم ولكنكم في أسوأ المشاكل ولا يوجد فيكم عزم وإرادة لإنهائها فيكم. هو كان يقول: «أنا مسيحي ولكني يكون لي بعض الأصدقاء من المسلمين الذين يكونون أعز وأكرم عندي بالنسبة للمسيحيين وأنه يوجد بين المسلمين من يكون لديهم أصدقاء من المسيحيين يكونون الأعز والأكرم عندهم بالنسبة للمسلمين» (أبوجه، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٣٩).

أي راية الوطن، أين أنت؟/ أنت طريحة كالחסام المحطم في ساحة الوغي...../ لمن هذه الرايات الخوافق/ للمسيحيين راية/ للأرثوذكس راية/ للدروز راية/ الكاثوليك راية/ للموارنة راية/ وأخيرا إهدتيت إلي راية الوطنية/ يا لها من قصبة ضعيفة، عليها خرقة بالية،/ عزلوها كأنها الأجرب/ أنكروها كأنها العار/ إن للطوائف رايات لها جنودها/ وإن للوطن راية / فمن لهذه الـراية (الخوري، ١٩٩٨، ج ٣: ٣٦٩)

ما يعطي شعر الأخطل الصغير روعة ورونقا هو فنه في التصوير ولذلك فإنه يجعل في قصيدة «من لهذه الـراية» راية الوطن عاملا للإبداع الأدبي ولأجل عكس التفرقة والطائفية التي طالما قد سيطرت ظلها علي لبنان أثناء سنوات مديدة وعبر تصوير التفرقة بين الأحزاب المختلفة في لبنان فمنها الأرثوذكس، الدروز، الكاثوليك، الموارنة، المسيحيين ومظلومية راية الوطن التي تعتبر رمزا للوحدة والاتحاد الوطني لبلد لبنان حقا وأن الجميع يجب عليهم أن يجمعوا تحتها فيؤنّب مواطنيه بأنه إلي متي يلزم استمرار هذا التفرقة والخلافات.

٦-٢. مذمة الكبار

كان من جملة العلل المهمة في خلق التفرقة والخلافات في لبنان وجود الساسة المصلحيين والجرائد من جهة ومن جهة أخرى فإن المستعمرين عبر السيطرة الاقتصادية والسياسية لها كانت تسعى في لبنان بأن يوظفوا بعض عملائهم الذين كانوا بحاجة إليها بصورة غير مباشرة، ساسة بدل أن يفكروا في تأمين السلم والهدوء في المجتمع، كانوا بصدد خلق التفرقة والصراع لتطبيق أهداف الاستعمار. كان يعتقد بشارة الخوري بأن الجرائد والصحف يجب عليها أن تكون قوة تضغط علي السياسيين بغية العمل لحفظ وحدة لبنان واستقرارها. ينبغي علي الجرائد أن توحد الطوائف المختلفة في لبنان حفاظا علي وحدة هذا البلد وأن تحول دون نشوء المذهبية والتعصب الطائفية وبما أنه تكون لها آثار انعكاسية في وضع البلد أن تعمل في اتجاه وحدة الوطن وأن تمنع من وقوع لبنان في مستنقع الصراعات المذهبية والطائفية.

إن الشاعر كان يهجو المتعصبين الجهلاء وأي شخص ما كان يستخدم الدين وسيلة للارتزاق وإثارة الحقد والبعضاء وكان يقول للذين يغرسون العصبية عبر التمسك بمبدأ وأصل المساواة والأخوة :

أيها القوم حسبكم وكفاكم أن مكثنا في أسركم أجيالا

أيها القوم قد منحنا عقولا لا تبيّني وهمأ ولا إشكالا

ومنحننا حريصة وإخفاء ومسأواة من لدنه تعالي

(الخوري، ١٩٩٨، ج٥: ١٧)

كان يقول الشاعر إلي زعماء الدين الجهلاء الذين يصبون في نوات الناس روح العصبية المذهبية بأنكم قد قدتم هؤلاء الناس إلي جهنم بضاللتكم ويرشون في أرواحهم سم العصبية خالقين بينهم الحسد والبغضاء وتزينون التفرقة لهم ومن ثم يظهرون لهم المودة بصورة قبيحة: تعسا لها من أمة أز عيمها جلادها وأمينها جاسوسها

أبناء أحمد والمسيح ألا فانهضوا أتباح حرمتها وأنتم شوسها

موتوا كراماً أو فعيشوا أمة تهوي علي يدها العلي وتبوسها

(برهومي، ١٩٩٣: ٨٩)

إنه كان يهجم و ينتقد من الزعماء الدينين والسياسيين الذين كانوا ينتهجون منهج خلق التفرقة بين الناس وكان يصرخ علي الشباب بأن أمنوا بهويكم التي تكون هي الهوية الوطنية، وأن لا تصيروا العوبة بيد الزعماء المنافقين والمتحجرين الذين لا يخطر علي بالهم سوي القيام بغرس بذور الحقد والبغضاء وسفك الدماء قائلا لهم باللوم عليهم بأنكم أسود وطنكم ، ألا تدافعون عن المجد والعظمة لبلدكم، أو أن تبدلوا مهجكم عزة في سبيل الوطن أو كونوا أمة واحدة ومتمحدة تسجد العظمة أمامها.

جاءني صديقي، وفي يده الجرائد/ قال هذه جرائدكم فبنست من جرائد/ زعمتم أنكم نور الأمة فكنتم ظلامها/ رأيتم موضع الضعف في الأمة فضربتم عليه/ أثرتم العاطفة القتاله بما أوقدتم تحتها/ كلكم يدعي الحق وكلكم مخطي/ لو حسنت نياتكم لحسنت أعمالكم/ النجاح لا يكون بدون تضحية فمن هو الذي ضحي بأنانيته منكم؟/ تعلمون أن الشعب عبد عاطفته فمن الذي راعي تلك العاطفة؟/ لو احترم كل منكم عاطفة أخيه، لما كنتم حيث أنتم/ لا تكونوا حطبا للموقد إن كنتم تعقلون (الخوري، ١٩٩٨، ج٥: ٣٧٢)

ينتقد البشارة الخوري في قصيدة «على عيد أخي» من صواحب الجرائد الذين يملكون عبر كتاباتهم حق القدرة علي إدارة تفكر الملايين من الناس قائلا إياهم: إنكم بدل أن تقوموا بإشاعة السلم والأخوة في البلاد وأن تألفوا بين قلوب مواطنيكم فعبّر نشر الأفكار المولدة للتفرقة قد ألقيتم بذور النفاق والتفرقة وحاليا لقد صار جمهور لبنان إلي أناس ينظر أي واحد منهم إلي أخيه في الدين بنظرة الكراهية وأن المسلمين والمسيحيين ينظرون بعضهم إلي البعض بعين العدو اللدود. إنما هذه العصبية ليست بين المسلمين والمسيحيين فحسب وبل إنها توجد بين أبناء دين واحد منها الكاثوليكية والبروتست أيضا.

يقول بشارة الخوري بهذا الصدد: «أنا وضعت جريدة برق لكي أدعو المسلمين والمسيحيين إلي الوحدة والأخوة وإزالة الحقد والكراهية وعبر الاستناد إلى آيات الذكر الحكيم وكتاب المسيح أن أغرس في قلوبهم بذر الألفة والمحبة» (أبوجده، ١٩٩٨، ج١: ١٨٩).

النتيجة

١- في الواقع إن العصر الذي كان يعيش فيه بشارة الخوري كان فترة ملتبهة ومضطربة في تاريخ لبنان. «بدأت الحروب الأهلية في لبنان التي كانت ناجمة عن سياسة الطائفية وكانت

قد غرست بذورها فرنسا وهي لم تقتصر على الحروب الأهلية فقط بل إنها كانت تشمل حروب المواطنين بعضها بعضا وكذلك حروب الناس مع الحكومة في بلد لبنان والتي كاني دفع ثمنها الباهض جمهور اللبنانيين» (هيكل، ١٤١٦: ٢٤) وأن بشارة الخوري الذي كان شاعرا وطنيا وكان همه وغمه جمهور الناس فيمارس بصفة شخص نشط في ساحة الثقافة والسياسة في أشعاره تنوير أفكار الناس ومعتقداتهم التي يسعى أصحاب المصالح من وراءها خلق التفرقة بينهم.

٢: يتناول الشاعر في أشعاره انعكاس هذا الأمر بأنه كيف أن أناسه قد أحاطت بهم مخالب الجهل والتحجر وفي هذا الأثناء فيوجد أناس مصلحيون يستغلون من هذه السذاجة والتخلف الثقافي للناس والذي يكون من ثمرة الاستعمار تحت عنوان اسم الدين، من جهة إن هؤلاء قد ألهبوا فتيل العصبية المذهبية بين الناس وقد أوقعهم في الصراعات والاشتباكات معا بحيث أن الفرد المسيحي يعتبر الفرد المسلم شخصا كافرا وكذلك أن الفرد المسلم يعتبر المسيحي عديم الدين وأن هؤلاء قد اجتازوا هذا الأمر حيث يتهم أي واحد من هذين الدينين الكبيرين الآخر إلى عدم التدين والذين قد تقسمت من بينهما مجموعات وفرق دينية ما وعلى سبيل المثال لا يقبل الكاثوليكيون وجود البروتست وأن السني يعتبر الشيعة رافضيا ومن ثم يقتل بعضهم بعضا بسهولة ما.

٣: يدعو الشاعر الشباب إلى الوعي والبصيرة ويحذرهم من الوقوع في براثن العصبية الدينية والقومية وما يزال يذكرهم إلى متى أن نكون قابعين في الجهل والتحجر فهللوا بأن نقوم بتوحيد الوطن عبر الأخوة والوفاق والوئام وتكريم الدين والفكر لبعضنا البعض، حتى نخطو عبر مساعي وافرة خطوات جبارة في التقدم والسلم في الوطن حتي نمتلك شعبا حرا ومتقدما كبقية دول العالم والذي يعيش فيه أبناء وطننا في السلم والهدوء.

٤: يخاطب بشارة الخوري الساسة وأصحاب الجرائد اللبنانيين مؤنبا عليهم بأن اليوم الذي قد اشتبك جمهور الناس متصارعين معا وقد صار البلد إلى ساحة الحرب بينهم فهذا الأمر يكون ناجما عن ثمرات عدم التدبير والسياسة الخاطئة لكم والتي قد غرستم بين الناس بذور العداوة والنفاق بدل أن تشيعوا روح المودة فيما بينهم.

Abstract

Religious and tribe prejudices were a fatal poison that make Lebanon sick severely at interval of time, and drew it up to interruption. These events became the main apprehension of the most poets and writers at that time and they could aid to create unity and friendship by their writings and poems. Among them, Bashar Al Khoris could be mentioned. The poet who made himself attendant to national reflection naked from any prejudice and tribe bias from begining of his youngness to his oldness, although he was Christian. Present article have been making Bashar Al Khoris's thoughts and opinions clear, about subjects such as blaming religious-tribe prejudices, praising unity, unaimity, freindship and kindness, based on analytic descriptive methode, and study and criticize that from different aspects.

The result of studying shows that the poet respect all religious, and is willing to act negligently in religion. He tried to illuminate people to disasters that made by religious prejudices to create friendship and kindness between Lebanon's from every religions and tribes by this way. He also criticized people who issued diversity of opinions for political portion, and said they had destroyed the soul of unaimity and friendship among people by these false thoughts and planted the seed of enmity and hypocrisy.

Key words : Bashar Al Khorī , Blame prejudice , tribe bias , Adoration of the Union

قائمة المصادر والمراجع

الف) الكتب

العربية

- أبوجده، سهام، (١٩٩٨م)، الأخطل الصغير سيرته وأدبه، بيروت: البابطين للأبداع الشعري.
- أبو شيكه، إلياس، (بيتا)، الرسوم، بيروت: مكتبة الجامعة الاميركية.
- برهومي، خليل، (١٩٩٣م)، أخطل الصغير بين الهوي والشباب، بيروت: دار الكتاب العلمي.
- حبوري، كامل سليمان، (١٩٩١م)، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتي سنة ٢٠٠٢، بيروت: دار الكتاب.
- الخوري، بشارة، (١٤٢٩ق)، أخطل الصغير أمير الشعراء، بيروت: دار الكتب.
- الخوري، بشارة، (١٩٩٨م)، الأخطل الصغير سيرته وأدبه، بيروت: البابطين للأبداع الشعري، جلد ٥.
- قميحة، مفيد، (١٩٨٢م)، الأخطل الصغير حياته وشعره، بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- العيني، نجيب، (١٤١١ق)، شعراء العرب المعاصرون، بيروت: دار المناهل.
- مطر، سهيل، (١٩٩١م)، اخطل الصغير، لبنان: دار المشرق.
- المعوش، سالم، (١٩٤٨م)، الأدب العربي الحديث، لبنان، بيروت: دار النهضة.
- ليكي، صلاح، (١٩٥٤م)، الاشارات الأدبية في لبنان، بيروت: دار الشرق.
- هيكل، محمد حسين، (١٤١٦ق)، أزمة العرب ومستقبلهم، بيروت: دار الشرق.

الفارسية

- مطهري، مرتضي؛ (بيتا)، مجموعه آثار، قم: صدر.

ب) المجلات

- پيشوايي، مهدي، (بيتا)، «لبنان سرزمين خون و حماسه»، مكتب اسلام، شماره سوم، سال بيست و پنجم، صص ٥٤-٥١.

